سي احمد بوزفور :

من مواليد أربعينات القرن الماضي بقبيلة البرانس بمقدمة جبال الريف شمال تازة . تكوينه العلمي بدأ من الكتاب (الجامع) مرورا بالقرويين بفاس مع محطة الاعتقال السياسي كما هوشأن العديد من شباب المرحلة. تابع دراسته بكلية الآداب ليحصل على دبلوم الدراسات العليا سنة 1989.
التحق كأستاذ بكلية الآداب بالرباط قبل أن يحط الرحال بكلية الآداب بالدارالبيضاء ثم التقاعد الإداري .

يعتبر من رواد القصة القصيرة حيث صدرت له مجموعات قصصية من بينها : الغابر الظاهر ، النظر في الوجه العزيز ... جلساتنا معه كانت ممتعة وغنية وذات مردودية. لم يتردد ولو للحظة في الإعلان عن دعمه لمشروع الأبحاث والدراسات هذا . وتجسيدا لدلك مكننا من أربع قصص ذات مرجعية برنوسية نسبة إلى البرانس لتكون ضمن إبداعات الرواد بهذا الموقع وهي : زروق ،الغراب ،ماذا يشرب الأطفال ونانا .

زروق

الفوقي:

جاءني في المنام، وقال لي: " أمك تسلم عليك وتقول لك: أين هديتي؟". لم اتبينه جيدا، ولكنه كان يلبس الأبيض: جلبابا أبيض وبلغة بيضاء، لكن بعمامة خضراء. بلى أتذكر الآن، كان وجهه عريضا، ولحيته باسمة. لحيته سوداء يخط حافتها الشيب، وكان هو نفسه يبتسم وهو يقول لي ذلك.

أحسب أن ابتسامته في أول الكلام كانت رقيقة حانية، ولكنها أصبحت في آخره ابتسامة عابسة، لنقل: قاسية بعض الشيء، بدقة: كانت ساخرة.

وكنت أعرف- دون أن يقول لي ذلك، ودون أن يقدمه لي أحد- أنه الولي الصالح سيدي أحمد زروق. عرفت ذلك فور أن رأيته مقبلا من بعيد، على حصانه الأدهم. حين تقدم إلي ترك الحصان بعيدا، وكنت أنا في وضع ملتبس لم أتبينه حينئذ أو لا أستطيع تذكره الآن. هل كنت واقفا ؟ جالسا ؟ متعجبا؟ مرحبا؟ منكرا؟ لعلي كنت مستلقيا على فراشي، مريضا مثلا، والولي الصالح يعودني. نعم، ذلك هو الوضع. أحسه بقوة الآن، حتى دون أن أتذكره بوضوح. كأنما كنت حين أقبل الولي الصالح واقفا خارج الدار أرقبه وهو ينزل عن الحصان ويربطه في شجرة البلوط. حين استدار مقبلا نحوي صار الحصان الأدهم تيسا أسود مربوطا في الشجرة من قرنيه، وصرت أنا في الفراش مريضا، والشيخ يتقدم نحو فراشي مبتسما ابتسامته الملغزة تلك.

قال لي: " أمك تسلم عليك وتقول لك: أين هديتي؟"، أو قال:" هويتي"؟ وهل قالها مرة واحدة ثم انصرف؟ كررها عدة مرات ؟ لست أدري، ولكن بدا لي أن العبارة التي قالها تتحدى الزمن ولا تنتهي. لا أحس أنها

انتهت كصوت، ودخلت الذاكرة، ولا أحس أنها تتكرر كصوت رتيب. أحس فقط أنها عبارة ضاغطة، أنها ليست عبارة، بل مناخا، أتنفسه وأعيش فيه.

مددت يدي نحو الولي الصالح فتلاشى، لم يبق منه إلا هالات ضوء انداحت بين السقف والأرض، كما لو كنت قد مددت يدي إلى غدير ماء أقبض على صورتي المنعكسة فيه.

السفلي:

في سنتها الأخيرة قبل أن تموت، كانت تذكّره باستمرار بأنه "هبة زرّوق"، وأنها كانت- وهي حامل- قد نذرت لله إن ولد ذكرا، أن تذبح على عتبة ضريح سيدي أحمد زرّوق تيسا أسود، وقد فعلت ذلك بعد أن ولد، وفعلته مرة أخرى بعد أن مرض مرضا أشفى منه على الموت.

في سنتها الأخيرة قبل أن تموت،كانت تنصح بأن يزوز "السيد" كلما داقت به الدنيا ولم يجد مخرجا وأن يقدم لضريحه قربانا ، وتقول إن عليه على أي حال ان يزوره اعترافا بالجميل .
في سنتها الأخيرة ،قبل ان تموت ، وهي مريضة، وهي تنظر إليه في صمت نظرات متحسرة يائسة، كاد يفعلها، هو الذي لم يقدم لها هدية قط، فكر في أن يشتري تيسا أسود يريها إياه، ثم يقول إنه زار السيد وذبح التيس في ضريحه. وكم أرّقه الندم بعد موتها لكونه لم يفعل. كان ذلك سيسرها بالتأكيد، وربما كانت نفسها قد ارتاحت، وربما كانت نظراتها الحزينة إلى وجهه قد رقت وصفت، ربما كان ذلك سيسهل عليها آلام الموت على الأقل.

ولكن وليّه غير وليّها. كان من الصعب أن يشرح لها أنه يتصور أحمد زرّوق بشكل مختلف، أن كل ما يربطه بهذا الولي الصالح هو مواسمه التي حضرها وهو طفل في السنوات الأولى للإستقلال، حين كان الناس يتخذون من موسم الولي فرصة للتعبير عن فرحهم بهذا الاستقلال، وعن أحلامهم التي يعلقونها عليه، وعن حماسهم لتحقيق هذه الأحلام. كان الزعماء السياسيون يأتون إلى هذا الموسم، ويخطبون في الجموع المحتشدة من الرجال والنساء والأطفال. وحين كان الزعيم يقف على عتبة الضريح المرتفعة والجموع الصاخبة تحته تهتف وتصفق، لم يكن يبدو له زعيما سياسيا فقط، كان يبدو له مركبا بشريا غامضا، فيه صورة أبيه الفارس وهو يطلق البارود وسط الفرسان في حلبة الموسم، وصورة النبي كما تخيلها وهو يقرأ القرآن في الجامع، وصورة عبد الكريم الخطابي بعمامته الصغيرة وابتسامته المختلسة كما يبدو في صورة يحتفظ بها خاله بين كتبه. كل أولئك وآخرون (لا يظهرون ولكنه يحس بهم) كانوا يكونون هذا المركب البشري الذي يقف في ضوء الشمس على عتبة الضريح، والذي كان يقول أشياء كثيرة وكبيرة لا يدركها عقله الصغير، ولكنه يلتقط من بينها كلمة كانوا يتقاذفونها كالكرة على ألسنتهم هي كلمة "الوطن". ورغم أنه لم يعرف معنى هذه الكلمة، فقد كان يتصوره شيئا لطيفا، شيئا حلواً وله لون أحمر/بُنّي كحبوب الكراميل التي كان مهووسا بها. لذلك أضاف صورته الخاصة للوطن إلى المركب البشري الذي كان يقف في ضوء الشمس على عتبة الضريح، وأطلق على هذا المركب المعقد المتداخل الصور اسم "سيدي أحمد زرّوق".

هل كان يمكن أن يشرح لها ذلك؟ وهل كان يمكن أن تفهم؟ ثم إن لأحمد زرّوق صورا أخرى في أذهان الآخرين، وبعضهم يعتبره عالما من علماء الدين أو شيخا من شيوخ الصوفية. وهُم يقدمون له قرابينهم الخاصة، بقراءة كتبه أو بإتباع طريقته. تماما كما تُقدم - كانت- التيس الأسود للضريح.

فما هو القربان الذي عليه أن يقدمه هو لوليه الخاص؟

القبــو:

أحلم أنّي طفل في المهد
يـد لا أراها تهدهدني، وصوت خافت
يغني فوق رأسي:
"لا تسكت
إبك
لا تبك الأمس ولا تبك اليوم
ابك الآتي
فالآتي تيه
والآتي لا دمعة في عينيه
والآتي لن يلقى أحد يبكيه
والآتي مهجور من أبويه
والآتي...
والآتي...
والآتـــــــــي...".